معارفنا القديمة لا غنى عنها

معارفٌ عربية

WANA INSTITUTE
IUCN
giz Deutsche Gesellschaft für Internationale Zusammenarbeit (GIZ) GmbH
Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra
Swiss Agency for Development and Cooperation SDC

الشبكة العربية للمجتمعات الرعوية

إن الهدف الأساسي لبناء الشبكة العربية

هو ترويج النهج النظامية لإدارة الموارد الطبيعية المتكاملة في كافة أنحاء المنطقة العربية بما في ذلك الباحثين والخبراء والمشاركين وغيرهم من المعنيين، وبالتركيز على بنائها بالاستعانة بالمعرفة المحلية والحلول الناجحة في إعادة تأهيل الأراضي الجافة المتدهورة.

الرؤية

زيادة المعرفة والوعي حول المجتمعات الرعوية والعيش بكرامة.

الرسالة

إحياء وتطوير المعارف التقليدية في "المنطقة العربية" من أجل الاستثمار في تنمية المجتمعات الرعوية وبناء قدراتها على المشاركة الفعالة في إعادة تأهيل وتحسين الإدارة المستدامة للمراعي.

صدرت هذه المطبوعة بالتعاون ما بين الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة ومعهد وانا والشبكة العربية للمجتمعات الرعوية. يُعتبر الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة الجهة الوحيدة المسؤولة عن محتويات هذه المطبوعة، ولا تمثّل هذه المحتويات بأي شكل من الأشكال آراء الاتحاد الاوروبي.

رواية أعضاء الشبكة العربية للمجتمعات الرعوية

تحرير:

فداء حداد

هاني البرغوثي

كمال قاقيش

تصوير:

موسى الشديدي

شعر بدوي
بالمعارف المحلية

ياللــه يا ســواق مــزناَ معــتم تكشــف بروقه من سهلها للاوعار
يشــعق بروقه والســحاب يتهشم هلت من المنشــأ بغــزير الأمطار
يضــفي مطرهــا للوطــن عم إن ســيلت وديانهــا وكل الأقطار
بأمــر الاله الي له الكــون محكم الغــيم يمطــر والــسما دووم مدرار
امطــار بالرحمــة لهــا وزن وقيم والجــو هادي مابــدى بعج وغبار
وعــدا شهــر كانون وشــباط تمم لازم تشــوف الخير مع هلت ايدار

زايد مقبل زايد الغبين
الحلابات - البادية الشرقية
المملكة الاردنية الهاشمية

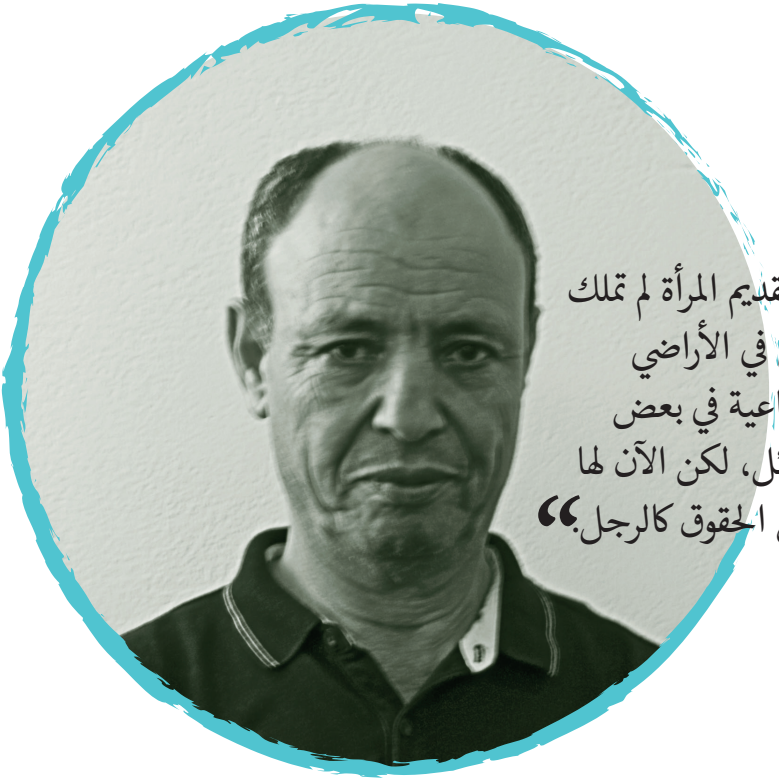

”في القديم المرأة لم تملك
الحق في الأراضي
الجماعية في بعض
القبائل، لكن الآن لها
نفس الحقوق كالرجل.“

الدكتور سعيد فكوري
المملكة المغربيّة
رئيس منتخب الشبكة العربية للمجتمعات الرعويّة

اجدال حقوق للرعويين

عملي كرئيس منتخب للشبكة العربية للمجتمعات الرعويّة وكعضو في العديد من المنظمات والجمعيات الإقليمية المختصة بمربي المواشي، زاد معرفتي بالإمكانيات الكبيرة التي تتيحها الممارسات الرعوية المحلية المستدامة في الوطن العربي.

تجربتين تثيران اهتمامي في وطننا العربي، احداهما في المغرب ونسميه أجدال والأخر في المشرق ويدعى الحمى. أجدال هي ممارسة معتادة لمجتمعات الأمازيغ (البربر) في شمال إفريقيا. فيها تغلق المراعي في أوقات معينة من السنة، بغاية الحفاظ على الغطاء النباتي والتربة مما يزيد الإنتاجية ويؤثر إيجابياً على دخل الرعاة المحليين. الأجدال تعتمد على التقسيم الموسمي الذي يعتمد على عدم زراعة المحاصيل على الأراضي الزراعيّة بشكل مستمر على مدار السنة، بل الزراعة بشكّل متقطّع ومنظّم بغاية الحفاظ على مناطق الرعي المنتشرة بالبلاد والمساهمة بازدهار التنوع البيولوجي المحلّي.

أجدال هم مرعى تسيره مجموعة من ممثلين القبيلة أو القبائل، يعينون شخص يدعى شيخ أجدال، هذا الشخص هو الذي يقوم بتنفيذ القوانين العرفية التي تسير على مستعملي اجدال منها: تواريخ إغلاق وفتح أجدال ، احصاء الماشية، جمع طلبات ذوي الحقوق ألذين لا يملكون الماشيةً ويردون الاستفادة عبر اشراك قطعان ليست ذوي الحقوق ، البت في النزاعات مع الجيران الى غير ذلك.
في القديم المرأة لم تملك الحق في الاراضي الجماعية في بعض القبائل، لكن الان لها نفس الحقوق كالرجل، لكن لا نجدها في المجموعة التي تدير المرعى الى استثنائيا، ودورها كبير في الحياة اليومية من ايجاد الطعام، البحث عن الماء، حلب الأبقار والماعز وفي بعض الأحيان تحلب النعاج، تنسج الخيام وتتولى العناية بصغار الحيوانات، قليلا ما نراها ترعى القطعان.
الممارسات الرعوية المستدامة في أجدال كما في الأنظمة المحلية الأخرى كالحمى لها فوائد بيئية عديدة منها زيادة نسبة الكربون العضوي المخزن في التربة. لذلك فأن تعزيز مثل هذه الممارسات يشكل أداه أساسية في مكافحة التغير المناخي. لكن، للأسف، أدّى الاستيطان إلى اختفاء هذه الممارسات شيئًا فشيء، وقد تكون عواقب ذلك وخيمة على المدى الطويل.

يعتمد أعضاء المجتمعات الزراعيّة والرعويّة في أجدال على عددٍ من الممارسات التقليديّة المحليّة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وقد تكون أبرزها عمليّة تقاسم حصص العمل، حين يقوم الرعاة الرئيسيّون بتوزيع قطعانهم على رعاة آخرين في مواسم الاحتفالات لغايتيْن، ألا وهما أخذ قسطاً من الراحة والمساعدة بتوفير فرص عمل للرعاة الذين لا يملكون قطيعاً خاصاً بهم.

كانت أجدال منتشرة في جميع مناطق المغرب، لكنها اليوم تتعرض للعديد من التحديات منها الهجرة القروية والزحف العمراني الى الأراضي الرعوية بالإضافة الى فقدان العديد من المعارف والعادات والتقاليد والممارسات المحلية، التي بدورها حرصت على استدامة الأراضي لعقود من الزمن.

في النهاية، للأراضي الزراعيّة، كما للرعاة، الحاجة للراحة الموسميّة. وللعالم ضرورة التدخل والدعم العاجل للحفاظ على استدامة هذه الممارسات التقليدية المهمة، من خلال توفير الآليات للمجتمعات الرعويّة المحليّة للحفاظ على النظام الاجتماعي في ظل التطوّرات البيئية والاجتماعية الراهنة.

”عندما بدأ العلم الحديث بالتدخّل بدأت المعرفة التقليديّة بالضياع.“

اعتماد راف الله عبدالله

مرسى مطروح - جمهورية مصر العربية

النجوم والرعي

في مصر كان الرعويين يسوقون قطعانهم من الغنم والجمال من حدود ليبيا الى منطقة سيوة مساءً وتكون فترة راحتهم صباحاً، ذلك لأنّهم بحاجة للاسترشاد بالنجوم لمعرفة موقعهم وتحديد اتجاهاتهم. وفي وقت الراحة نهاراً، فإنّ الراعي يعقّل أكبر ناقة عمراً لديه بعد أن يورّكهاّ وعندما يتأكد الراعي من ثبات أكبر ناقة لديه في مكانها يبدأ وقت راحته، حيث يعرف بأن القطيع لن يتحرك بدون أمه. وعندما ينام يربط الراعي أكبر نعجة بِيَدِهِ، لتيقظه مع تحرّكها إذا تحرّك باقي القطيع.

الرعاة يتنقلون لمسافات طويلة، يأخذون معهم من الطعام ما يكفي لشهر. كان طعامهم يتضمّن الطحين، والقدّيد والكشك لما لهم من قيمة غذائية عالية وسهولة بالتحضير. وكانوا يأكلون الدهن الغذائي أيضًا. سابقًا، لم يكن الدهن متوفّر على مدار السنة، لذلك كانوا يقطّعونَهُ لقطع صغيرة ويضعونها تحت الشمس لفترات مع بهارات الكركم صفراء اللون لمدّة عشرة أيام تقريباً. ثم يدقّونها ويكوّرونها ويضعونها داخل صوفة من جلد الماعز للتخزين، فيصبح استخراجها وأكلُها من قبل الراعي سهلًا.

محافظتي مرسى مطروح تقع على الحدود الليبيّة المصريّة، وإحنا مقسّمين لست قبائل رئيسيّة. المنطقة السكنية لا تتعدى مساحتها الخمسة كيلومتر مربّع، لذلك فإنّ الزراعة والرعي يتشاطران حصصًا متساوية من مصدر دخلنا. حياتنا تعتمد على ما يرزقنا الله من الأمطار. حيث نستغلّها في الزراعة والرعي. نستخرج مياه الشرب من الآبار الارتوازيّة، حيث تترسب الرواسب في القاع فنشرب المياه نقية.

الهَمّ الأكبر للمزارعين والرعاة يكمن بتوفير المصدر المائي الكافي. كانوا بالقدم يقيمون السدود التي تصب مباشرة في الآبار. بناء السدود لم يكن سهلاً، حيث يحتاج بناء كل سد حوالي عاماً. كان الفلاحون يعملون على نقل الحجارة اللازمة لبناء السد عصر كل يوم.

فكان أجدادنا يعتمدون على الطبيعة بشكل كبير، حتى في هندسة السدود. عند بناءها كانوا يضعون الحجار فوق بعضها، بالأغلب بشكل عشوائي. علماً منهم بأن الهواء العالي القوي سوف يحمل التربة ويركنها بطريقِهِ على جدار السد الخارجي مما سوف يعزز قوة السد ويدعمه. عندئذ يكون التراب قد تجمّع على شكلٍ مائلٍ على أطراف السد كهضبة صغيرة، هذا التراب الواقع على أطراف المياه الجارية يعتبر خصباً مؤهلاً للزراعة بسبب تشبعه بالأملاح ذاتها التي نستفيد من شربها. عندها يستطيع الفلّاح أن يزرع التين والزيتون على حافّة السّد. الموضوع بسيطٌ جدًّا، وهذا بالنسبة لنا شيئًا بديهيًّا دون الحاجة لمهندس بأن يساعدنا.

عندما بدأ العلم الحديث بالتدخّل بدأت المعرفة التقليديّة بالضياع. جدّي كان لديه حديقة بقت مزدهرة لأعوام كثيرة، حيث كان يستخدم السماد الطبيعي المكوّن من روث المواشي فقط، وكان جدّي يضعه على حافّة الحديقة حتّى يوزّعه المطر على جميع النباتات بالتساوي.

”أكثر ما يُعجبني من القصص التراثيّة هي تلك التي تخص تنظيم المجتمع البلدي المعتمد على التعاون وعلى الفزعة وكيف كان يقف الأشخاص بجانب بعض حتّى على أبسط الأمور.“

منصور الفوّاز

صبحا وصبحية - المملكة الأردنيّة الهاشميّة

البادية و انقراض معارفنا

أنا منصور الفواز، رئيس جمعية التعاون في البادية الأردنية الشماليّة. لا ننسى يوماً، ما يخبرنا بهِ أجدادنا عما امتازت به قرية صبحا وصبحية والبادية الأردنية بشكل عام في حقبة الثلاثينات ولغاية بداية السبعينات من القرن الماضي من الأنظمة التعاونية التشاركية المعززة بقانون عرفي يوزع المهام والواجبات بين أفراد القبيلة. فعند قدوم كل فصل شتاء يجتمع أفراد القبيلة لتسمية عدد من الرجال للسمل وصيانة قنوات الري التي تغذي البرك والآبار الرومانية القديمة المنتشرة في صبحا وصبحية. وإذ في يوم احتاج أحد أفراد العشيرة الى مسكن او الى صيانة مسكنه، يعقد شيخ القبيلة اجتماعاً يوزع به المهام على الرجال، فمنهم من يجمع الحجارة والتراب ومنهم من يبني البناء، كلٌ له دوره، يعملون جميعاً بروحٍ واحدة، يؤمنون بأهمية العَوْنة والفزعة لبعضهم البعض.

ما أجمل الربيع، حيث ينتشر الرعاة الى مواقع الرعي الواسعة والتي تصل في امتدادها الى نجد والعراق وسوريا وغيرها. بينما النساء تبدأ في تحضير المونة لشتاءٍ جديد قادم بعد أشهر. وعند قدوم فصل الشتاء، يأتي دور الحواش، مهمته تكمن في تجميع أغنام القبيلة ورعايتها، فيسوقها للأراضي التي حُددت له من كبار السن شيوخ القبيلة موضحين أهمية عدم التعدي على مناطق رعي القبائل الأخرى، بالإضافة لأهمية الرعي في مناطق دون غيرها كل موسم وذلك لإعطاء الأعشاب فرصة للنمو والتجديد

اليوم البادية الاردنية تشكل أكثر من ٨٠ بالمئة من مساحة المملكة. واقعنا كلّه زراعي، نستطيع القول بأنّ ٦٠ بالمئة من سكّان هذه المنطقة يعتمدون على الزراعة اعتمادًا كاملا في دخلهم، سواء كان ذلك بالإنتاج النباتي أو الحيواني.

الشيح والزعتر البريّ نباتات طبيّة تنتشر لدينا طبيعيًّا، لكن للأسف اليوم يقل انتشارها بسبب التوسّع بالرقع الزراعية، وحراثة الأرض وما إلى ذلك، لكنها تبقى النباتات الأصيلة بالمنطقة. أما بالنسبة لتربية المواشي الجميع يعلم بأنّها للأسف لم تعد مجدية اقتصاديًّا، ولكن ما زال تربيتها موضوع عُرفيّ تقليديّ يجب أن يُتَّبَع سواء كان مربح أو لا؛ ففي القرى نملك الغنم والماعز كنوع من إحياء التقليد، لكن في نفس الوقت وجب علينا العثور على مصادر دخل جديدة. بدأت عمليّة البحث عندما استُخرِجت المياه في نهاية الثمانينات عندما بدأ استخراج المياه من الاحواض المائية في منطقتنا تشجعنا للبدئ بالزراعة التي وفرت لنا مصدر جديد للدخل.

الأراضي المملوكة تشكّل ٧٥ بالمئة من منطقتي صبحا، ومعظمها مملوك من قبل المواطنين الأصليّين للمنطقة باستثناء ٢٠-٢٥ بالمئة منها المملوكة بغاية الاستثمار. الأراضي وُزّعَت بشكل رسميّ على القبائل في الخمسينات، في ذلك الوقت كان معظم البدو رّحل. أعتمد تنقّل البدو على توفّر المرعي للمواشي متأثراً ومتغيراً بحسب الأحوال الجوية من جفاف وقحط. عندما كانت المناطق الأردنيّة تمرّ بسنوات جافّة، كانت مسافات الترحال تزيد. أذكر أنّ كبارنا كانوا يصلوا الى تركيّا، أيضاً الى السعوديّة والعراق وسوريا بالطبع. كانوا يَصِلون إلى فلسطين وإلى سينا أيضًا. في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي كانت الحدود مفتوحة وحرّة نوعًا ما، وكان الرعاة يتنقلّون لأشهر بعض الأحيان. استقرينا في أراضينا بعد أ أن تشكّلت الحدود السياسيّة والتي كانت العامل الأهم.

زراعة الأراضي تقسّم حسب الفصل، أي نظام الدورات، وبالعادة تُزرع سنة وتُترك سنة لترتاح، ألا وهو ما يسمّى الحِمى، لكن لا تُترك نهائيًّا، ويُزرع عمومًا الشعير لأسباب كثيرة، أولها قدرة امتصاصه للملوحة من الأرض، وثانيًا لإمكانية استخدامه علفًا للأغنام بغضّ النظر عن جودة الموسم.

أصبح لدينا تقنيّة جديدة في حماية الأرض من القحط، وهي الزراعة المحميّة (أيّ البيوت البلاستيكية)، تعامُلًا مع التغيّرات المناخية التي حدثت في السنوات القليلة الماضية، فقد أصبحت درجات الحرارة لأوّل مرّة تصل إلى تحت الصّفر شتاءً وفوق الأربعين درجة صيفًا. للتأقلم مع هذه الأوضاع المستجدة ، بدأنا بالزراعة داخل البيوت المحميّة لتفادي التغيّرات الشديدة للمناخ.

في السابق عنا نصنع كل شيء بأيدينا. من أهم الحرف التقليديّة التي قلّ استخدامها والتي أخاف عليها من الانقراض بيوت الشّعر، التي عدا عمّن يستخدمها من البدو الرحّالة، فإنها تُستَخدم بالمناسبات التقليديّة فقط، وأصبحت صناعتها مستوردة من البلاد المجاورة مقابل التصنيع المحلّي سابقًا.

"التحديات لم تبعد الرعاة
يوماً عن حب الأرض بل
زادتهم تجذراً بها. فأصبحوا
يدعَون بحراس الأرض."

وسام أبو زهرة
يطا - فلسطين

عاطف بني عودة
محافظة طوباس - فلسطين

كهوفنا عِزُّنا

كان الفلسطينيون الرعاة يرتحلون من منطقة لمنطقة حسب الموسم. فمثلًا، مع بدء الربيع يرحلون للشمال من أجل المرعى الخصب، ويعودون إلى الجنوب مع انتهاء فصل الصيف. كانت القبيلة ترتحل على شكل قوافل قبيلة من مكان لآخر. اليوم أحجام القوافل قلّت وأصبح الرعاة يرتحلون فقط مع عائلاتهم للكهوف المخفية المتوارثة عن الآباء والأجداد، المنتشرة على طريقهم داخل الجبال. الكهوف كبيرة نسبياً لتسع العائلة والأغنام كلٌ على جانب.

معظم من يسكن السفوح شمال فلسطين ومن يسكن بالأغوار يعتمد على الرعي كمصدر للدخل، مشكلاً جزءً من عاداتهم وتقاليدهم. المناطق الرعويّة تمتد من طوباس شمالًا إلى أقصى جنوب يطّا والسموع والظاهريّة وبيت لحم وغيرها. يتنقّلون من منطقة لمنطقة بحثًا عن المرعى، حاملين معهم خيمهم وبيوت الشعر. ممتلكاتهم تكون قليلة وبسيطة بالعادة، يأخذونها معهم تاركون الكهوف خاليًا تمامًا. ليعدون إليها بعد سنة.

منذ القدم، قام الأجداد ببناء قنوات المياه الممتدة من أعلى سفوح الجبال إلى الآبار الموجودة على مقربة من الكهوف. تمتلئ هذه الآبار في فصل الشتاء ليستفيد منها رعاة فلسطين في الفصول اللاحقة. لتلك القنوات فوائد أخرى أيضاً، فهي تحافظ على التربة من الانجرافات.

يشتهر رعاة فلسطين بقدرتهم على مواجهة التحديات والتغيرات الكثيرة التي تواجههم. الجدير بالذكر، ان هذه التحديات لم تبعد الرعاة يوماً عن حب الأرض بل زادتهم تجذراً بها. فأصبحوا يدعَون بحراس الأرض. قد تكون خِفْية هذه الكهوف حمتها من مخالب الاحتلال وحافظت على فلسطينيّتها. لكنها ما زالت معرضة للعنف وإلى الهدم ومصادرة الأعلاف والأغنام.

”منذ ستّون عامًا كان ٨٠ بالمئة من سكان منطقتي يعتمدون على الرعي،مقارنة مع اعداد اليوم الذي لا يتجاوز العشرين بالمئة.“

هيثم طعيمي
كفر زبد - لبنان

الحمى نظام حياة

العادات والتقاليد تؤثّر على العديد من أبعاد الحياة اليوميّة، بما في ذلك معالجة الأمراض والإصابات. كان الرعاة يعملون على كوي الجروح وإصابات القطيع عن طريق تسخين أداة حادّة وبالعادة هي أداة تُستخدم أيضاً في تحضير القهوة. لكن للأسف، معظم من كان يَعْلم بالطريقة الصحيحة لكوي الجروح بالإضافة للعديد من العلاجات التقليدية القديمة قد توفي، مما أدى الى ضياع العديد من هذه المعارف. اليوم أصبح العديد يعتبر هذه الأساليب رجعية وبدون فائدة حقيقية. ومع ذلك، بعض تطبيقات الطب التقليديّ التي اختفت لفتره نراها تعود شيئًا فشيء، مثل الحجامة واستعمال بعض الأعشاب الطبيعيّة (مثل عشبة البقلة) التي تستخدم لشفاء الالتهابات، لكن ما زالت استخداماتها قليلة بشكل عام ولا تمثّل وجود مهم.

لا يوجد الكثير من التوثيق لتاريخ القبائل في لبنان، لأن لبنان كدولة ابتدأت في العشرينات. ضيعَتي أنا، على سبيل المثال، تقع في منطقة اسمها "الفاعور" في البقاع. منذ ستّون عامًا كان ٨٠ بالمئة من سكّانها يعتمدون على الرعي، مقارنة مع العدد اليوم الذي لا يتجاوز العشرين بالمئة. بعض الأسباب التي أدت الى ذلك، هي إغلاق الحدود أمام الرعاة بالإضافة الى بالإضافة إلى ازدياد التكاليف المرتبطة برعي الأغنام، إذ أنّ أراضي واسعة وغنيّة كانت متوفّرة سابقًا وكان بوسع الراعي أن يتنقّل ما بينها دون قيود إلى أن بدأ السكّان بالتوافد إلى القرى وتحديد ملكيّتها، فالرعي ممنوع بالأراضي المملوكة من قبل الحكومة أو البلديّات، ومن أجل إطعام المواشي يضطر الراعي لأخذ الإذن من ملّاك الأراضي الخاصّة، اللذين يوافقون بالعادة على الرعي لمدّة يوم أو يومين لأنّهم يستفيدون من روث المواشي الذي يُستخدم كسماد. خُلِقت المشاكل والعوائق، واستبدلت الدولة الرعي بالسياحة كالقطاع المُعتمد، ودخلت المصانع الكبيرة إلى كافة القطاعات الأخرى.

الحمى نظام محلي مهم لإدارة الموارد الطبيعية في لبنان، يقع تحت ملكية وإدارة البلديات، وجود الحمى بحد ذاته دليل على أنّ المجتمعات الرعوية تعمل جاهدة للمحافظة على التنوع البيئي، بالرغم من كل ما تتعرض له البلاد من تحديات فإنّ المجتمعات المحلية تعلم قيمة التنوّع البيئي وأهمية المحافظة عليه.

معهد غرب آسيا- شمال افريقيا- ٧٠ شارع أحمد الطراونة - الجبيهة **هاتف:** ٤٧٠١ ٥٣٤ ٦ ٩٦٢+ **البريد الإلكتروني:**info@wanainstitute.org
www.wanainstitute.org